الأستشراق

فى ميزان الإسلام

د / أحمد عبد الهادي شاهين

مدرس بقسم الدعوة

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم﴾

صدق الله العظيم.   سورة محمد الآية (٣٠).

مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد...

فإن دراسة أية قضية دراسة عملية تحتاج إلى موضوعية وإنصاف، فيبتعد الباحث عن التأثير العاطفي، والتحامل والتجريح، من أجل الوصول إلى الحق والصواب، الذى هو هدف الباحث وغايته.

وموضوع الدراسات الاستشراقية يقع فيه بعض الدارسين بين مؤيد ومعارض، بين من يقبل كل ما جاء من الغرب من دراسات وجهود وفكر ، وبين من يغلق الباب فى وجه ذلك كله ، ويرفض الحديث مع المستشرقين ، أو التحاور معهم.

وأقول: إن الدراسات الاستشراقية فى ميزان الإسلام لها وعليها، فالمستشرقون ليسوا على درجة واحدة، فمنهم المقتصد، ومنهم المتغالى، وجهودهم فيها ما يحمد وما يذم، وما يحب وما يكره، والإنصاف أدب إسلامي أشار إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى :﴿ولا يجرمنكم شنئان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾[1]

وينبغى أن نفرق بين الفكر والجهود، فالجهود تقبل وتراجع، والفكر يمحص ويوضع تحت المجهر ، وللأسف الشديد فإن أغلب تكر

(١) سورة المائدة الآية (٨).

المستشرقين فيه خداع وتضليل ،وفيه نزعات عدائية وعدوانية، تسيل أقلام المغرضين منهم بمداد أسود، يغرف مما فى قلوبهم من حقد وحسد؛ لتشويه الصفحات المشرقة من تاريخ الإسلام ، وفتوحاته وحضارته.

وقليل منهم من يلتزم بالتجرد والنزاهة ، والبعد عن التحامل، وغالباً هذا الصنف ينتهي المطاف به، ويرسى قواعده فى اعتناق الإسلام والدخول فيه، ثم يقوم بدوره الفعال فى كشف المخططات الغربية التى تستهدف الإسلام والمسلمين، عقيدة وشريعة ديناً ودولة.

والدراسات الاستشراقية هى صورة من صور الغزو الفكرى ، الذى يستهدف أعز وأغلى ما فى الإنسان المسلم من قلب وعقل ، أما القلب فهو محل العقيدة والإيمان، وأما العقل فهو وعاء العلم والفكر، فهم يريدون مسلمين بلا إسلام ، ويريدون إسلاما بلا عقيدة ، ويريدون عقيدة بلا جهاد.

ويتلخص هدف الاستشراق من خلال أبحاثه ودراساته فى:

١- يعمل على معرفة استكشاف مواطن القوى عند المسلمين ، ليعمل على ضربها وإضعافها ، وإصابتها فى مقتل ، لا تقوم بعدها للمسلمين قائمة ، أو التشكيك فى أصول الإسلام وقيمه ومبادئه وأخلاقه ، أو النيل من تعاليمه وآدابه ، فإضعاف أثر الإسلام فى نفوس المسلمين للاستيلاء على خيراتهم هو نهاية آمالهم ، ومنتهى غاياتهم.

وثمة دور آ خر يقوم به الاستشراق، ألا وهو خدمة الاستعمار والتنصير ، وذلك عن طريق البحوث التى تعطى المستعمر والمنصر

معلومات واسعة عن البلاد القادم إليها ؛ فيصبح الطريق أمامه سهلاً ممهداً ، فيحتل البلاد ، وينصر العباد ، ولا يستطيع أحد أن يقف له بالمرصاد.

وإذا كان الاستشراق لون من ألوان الغزو الفكري ، البديل عن الغزو العسكري - بعد فشلهم فيه - فهم يستخدمون جميع الحيل والوسائل غير المشروعة المتاحة لديهم ، يلبسون الحق بالباطل ، والمعروف بالمنكر، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة ، وكل زمان له أساليبه ووسائله التى تتفق فى النهاية مع أهدافهم وغايتهم ، قال تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾[١]. والغرض من ذلك كله ، إنما هو صد المسلمين عن دينهم ، أو تشكيكهم فيه، قال تعالى: ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾[٢]. فالحرب من جهتهم متجددة ومستمرة وقائمة حتى قيام الساعة.

إن المعركة بيننا وبينهم بالغة الصعوبة ؛ لأن الاستشراق يستهدف تشكيك الأمة فى كتابها ، وتراثها ، وتاريخها، وعدم قدرة الأجيال المعاصرة على الوصول إلى ما وصل إليه السلف من فتوحات وتمكين، وتقدم فى مختلف الحياة ، فنترك لهم الساحة دون منافسة أو نزال ، ويصبح الغرب هو الفارس الأوحد فى الميدان من غير أن ينازعه أحد من الناس .

ومن ثم كان الاستشراق يحتاج لمن يتصدى له ، ليهتك ستره، ويبين عورة ، ويوضح عرجه ، ويكشف عن نواياه ، فأهدافه فى مجموعها غير نبيلة ، ووسائله غير شريفة ، ومقاصده غير حميدة .

---

(١) سورة البقرة الآية (١٢٠).

(٢) سورة البقرة الآية (٢١٧).

وتأتى هــذه الدراســة بمثابــة مدخــل للتعــرف علــى الدراســات الاستشراقية والمستشرقين، ووضعهم فى مــيزان الإســلام ، مــن أجــل أن نتصدى لمعاول الهدم ، ونكثف عوامــل الإصــلاح والبنــاء ، ومــن أجــل توعية القارئ المسلم على وجــه العمــوم ، والدارســين للعلــوم الشــرعية فى جامعــة الأزهــر المعمــور علــى وجــه الخصــوص. ﴿إن أريــد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلــت وإليــه أنيــب﴾(١).

وتتكون هذه الدراسة من تســعة مبــاحث.

المبحث الأول: تعريف الاستشراق ونشأته وتطوره.

المبحث الثاني: دوافع المستشرقين

المبحث الثالث: أهداف المستشرقين.

المبحث الرابع: وسائل المستشرقين.

المبحث الخامس: منهج المستشرقين فى دراســة العلــوم الإســلامية.

المبحث السادس: تصنيف المستشــرقين واتجاهاتــهم

المبحث السابع: علاقة الاستشراق بالاســتعمار والتنصــير الصهيونيــة.

المبحث الثامن: آثار الاستشراق فى المجتمعــات الإســلامية.

المبحث التاسع: موقف المسلمين مــن الاستشــراق.

*****

---

(١) سورة هود الآية (٨٨).

المبحث الأول

تعريف الاستشراق ونشأته وتطوره.

تعريف كلمة الاستشراق فى اللغـــة:

لم ترد هذه الكلمة فى المعاجم اللغوية القديمة ؛ لأنـــها مـــن الألفـــاظ المستحدثة وإن كان معناها قديم ، فهى قديمة المعنـــى حديثـــة المبنـــى.

وقد ورد أصل هـــذه الكلمـــة مـــن الناحيـــة اللغويـــة فـــى بعـــض المعاجم الحديثة ، مثل المعجم الوسيط ، ومتـــن اللغـــة:

فكلمة الاستشراق مأخوذة من الفعل الثلاثـــى (شـــرق) جـــاء فـــى المعجم الوسيط عن معنى كلمة (شـــرق) : (اتجـــه نحـــو الشـــرق. فيقـــال (شرق) أى أخذ فى ناحية المشـــرق ، والمشـــرق جهـــة شـــروق الشـــمس. ومعنى شجرة شرقية: أى تطلع عليها الشمس مـــن شـــروقها إلـــى نصـــف النـــهار)[١]

والخلاصة: أن كلمة الاستشراق فـــى اللغـــة العربيـــة مشـــتقة مـــن الفعل الثلاثى (شرق) ثم زيد على الفعـــل الـــهمزة والسين والتـــاء ليفيـــد الطلب فيكون معناها: الاتجـــاه نحـــو الشـــرق ؛ وذلـــك لدراســـة علومـــه وآدابـــه.

(١) انظر المعجم الوسيط ١/٤٩٩ ط/ مجمع اللغة العربية ط/ الثالثة سنة ١٤٠٥هـــــ - سنة ١٩٨٥م.

وقد جاء هذا المعنى فى معجم متـــن اللغـــة حيـث يقـول مؤلفــه: (استشرق: طلب علوم الشرق ومؤلفاتهم ، يقـــال لمـن يعنـى بذلـك مـن علماء الفرنجـــة)(١).

وعلى ذلك فكل من قـــام مــن الغــرب بدراســة علــوم الشــرق المختلفة يطلق عليه مستشـــرق.

*****

تعريف كلمة الاستشراق فـــى الاصطـــلاح:

عُرِّف الاستشراق فى الاصطلاح بتعريفات كثـــيرة ، اختلفـت فـى ألفاظها وأسلوبها إلا أنها تتفق فـــى مضمونـــها ومعانيـــها ، وبعـض هـذه التعريفات يفيد التعميم، وبعضها يفيد التخصيـــص، وهـــى فـــى جملتـــها لا تتعدى هذا التعريف الذى يذكره د/ محمود زقزوق ، وهـــو مـــن المعنييـــن بدراســـة الاستشـــراق فيقـــول الاستشـــراق: (يعنـــى الدراســـات الغربيـــة المتعلقـــة بالشـــرق الإســـلامي ، فـــى لغاتـــه وآدابـــه وتاريخـــه وعقـــائده وتشريعاته وحضارته بوجه عـــام)(٢)

وجاء فى الموسوعة الميسرة فـــى الأديـــان والمذاهـــب المعـــاصرة ما يوافق هذا التعريف السابق ويؤكده، فقد جاء فيـــها عـــن الاستشـــراق:

(هو ذلك التيار الفكرى الذى تمثل فى الدراســـات المختلفـــة عـــن الشرق الإسلامي والتى شملت حضارته وأديانـــه وآدابـــه ولغاتـــه وثقافتـــه،

---

(١) معجم متن اللغة لأحمد رضا. ٣/ ٣١١ ط/ بيروت سنة ١٩٨٥م.

(٢)الاستشراق د/ محمود حمدى زقزوق صـــ١٨ ط/ دار المعارف ســـنة ١٩٩٧م

ولقد أسهم هذا التيار فى صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي ، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما)[١].

إن هذا التيار الفكري وخاصة من المستشرقين القدماء هم الذين صنعوا ورسخوا التصورات الغربية الخاطئة عن الإسلام ، فكتاباتهم تعد هى المحور الأول التى انطلقت منها الأفكار الغربية المتحاملة على الإسلام الآن ، والتى لا زالت مسلمات عندهم يتوارثونها جيلا بعد جيل.

ومما سبق يتبين أن **الاستشراق:** نشاط وجهد علمى ، يقوم به بعض علماء الغرب، لدراسة أحوال الشرق فى الدين والفكر والآداب والحضارة وغير ذلك . . . تحت دوافع وأهداف معينة.

وأما كلمة **مستشرق** فهى كلمة تطلق على: (كل عالم غربى يشتغل بدراسة الشرق كله أقصاه ووسطه وأدناه فى لغاته وآدابه وحضارته وأديانه)[٢] يقول مالك بن نبي: (نعني بالمستشرقين الكتّاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية)[٣]

ويستفاد أيضاً من تعريف كلمة **مستشرق:** أن المستشرقين ليسوا من بلدة واحدة ، بل هم من دول وقارات متعددة ، وأصحاب ديانات مختلفة ، قد تكون يهودية أو نصرانية أو شيوعية أو غير ذلك،

---

(١) الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة صـ٣٣. الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض سنة ١٤٠٩هـ.

(٢) الاستشراق د/ محمود حمدى زقزوق صـ١٨.

(٣) إنتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الإسلامي الحديث، لمالك بن نبي صـ٧ ط/ مكتبة عمار بالقاهرة سنة ١٩٧٠هـ.

وفى الغالب أن دراستهم حول الإسلام دراسات موجهه ، لها أهداف وغايات محددة ، بقصد الهيمنة على الشرق ، وجعله تابعاً للغرب فى كل شئ ، ومن أجل الاستيلاء على خيراته ، وتغيير معتقداته.

*****

نشأة الاستشراق وتاريخه:

هناك خلاف بين الباحثين حول تحديد البداية الحقيقية للاستشراق، خاصة أن الدراسات الاستشراقية كانت متنوعة ، منها ما هو منظم عن طريق الدول والمؤسسات والحكام ، ومنها ما هو فردى عن طريق الأفراد والأشخاص ، ومن ثم اختلفت رؤى الباحثين فى تحديد نشأة الاستشراق وبدايته على وجه التقريب ، من أجل الوصول إلى فترة زمنية محددة تكون هى بداية الدراسات الاستشراقية ، ويمكن حصر نشأة الاستشراق فى عدة نقاط أجملها فيما يأتى:

١-يكاد يكون هناك اتفاق بين الباحثين فى أن المسلمين الأوائل فى نهاية القرن الأول الهجرى حينما فتحوا الأندلس ، وغزا الإسلام الذ زانية فى عقر دارها ، ووضع المسلمون نهضة علمية وثقافية فى مختلف العلوم ؛ حينئذ قصد الرهبان من النصارى الأندلس لدراسة هذه العلوم ، وحينما عادوا إلى بلادهم قاموا بنشرها بين قومهم ، ومن ثم تعد هذه الدراسات هى البداية الأولية للدراسات الاستشراقية[١]

(١) انظر الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم د/ مصطفى السباعى صـ١٣، ١٤. ط/المكتب الإسلامى الثالثة سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

ولم يكن الدافع من الرهبان هو نقل العلـوم والثقافـة العربيـة إلـى بلدهم ، وإنما أرادوا أن يعرفوا طبيعة هذا الديـن الجديـد الفـاتح لبلادهـم، وطبيعة العقول والرجال الذين يحملون هذا الديـن ، ومـا أسـباب تفوقـهم وانتصاراتهم ، بالإضافة إلـى الوقـوف علـى بعـض العـادات والتقـاليد والآداب والفلسفات الخاصة بالمسـلمين الفـاتحين.

ويستفاد من ذلك أن الدراسات الاستشــراقية قـامت بدايتـها علـى أيدى وسواعد الرهبــان، ورجـال الديـن مـن النصـارى ، فـهم كـانوا طلائعه ، كما أنهم كانوا نشطين فـى تشـويه صـورة الإسـلام وتعاليمـه عند أتباع دينهم ؛ حتى يوقفوا هذا الزحف الإسلامي القـادم إلـى بلادهـم.

يقول د/ محمود زقـزوق (وليـس هنـاك شـك فـى أن الانتشـار السريع للإسلام فى المشرق والمغرب قد لفـت أنظـار رجـال اللاهـوت المسحيى إلى هذا الدين ، ومن هنـا بـدأ اهتمامـهم بالإسـلام ودراسـته، ومن بين العلماء المسيحيين الذيـن أظـهروا فـى وقـت مبكـر اهتمامـاً بدراسته الإسلام - لا من أجل اعتناقه وإنمـا مـن أجـل حمايـة إخوانـهم فى الدين منـه - كـان العـالم المسـيحى (يوحنـا الدمشـقى) (٦٧٦م - ٧٤٩م) ومن بين مصنفاته فى هـذا الصـدد لإخوانـه فـى الديـن كتـاب (محاورة مع مسلم) وكتاب (إرشادات النصارى فـى جـدل المسـلمين)[١]

---

(١) الاستشراق د/ محمود حمدى زقزوق صـــ ١٨، ١٩.

٢-ويرى صاحب كتاب (المستشرقون) (أن بداية الاستشراق ترجع إلى القرن العاشر الميلادى ، وقام فى كتابه بذكر طلائع المستشرقين ابتداء من هذا التاريخ حتى القرن العشرين الميلادى)(١).

ويذكر د/ مصطفى السباعى أن (من أوائل الرهبان الراهب الفرنسى (جربرت) الذى انتخب بابا لكنيسة روما عام (٩١٩) بعد تعلمه فى معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده، ومنهم الراهب(بطرس المحترم ١٠٩٢-١١٥٩) ومنهم الراهب (جيراردى كريمون-١١٨٧)(٢)

٣-(وبعض الباحثين يذهب إلى القول بأن البدايات الأولى للاستشراق ترجع إلى مطلع القرن الحادى عشر الميلادى.

٤- بينما يرى (رودى بارت) أن بدايات الدراسات الإسلامية والعربية فى أوروبا تعود إلى القرن الثانى عشر الذى تمت لأول مرة ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية كما ظهر فى القرن نفسه أول قاموس لاتينى عربى.

٥-وبعض الباحثين يشير إلى أن الغرب يؤرخ لبدء وجود الاستشراق الرسمى بصدور قرار مجمع (فينا) الكنسى فى عام سنة ١٣١٢م بإنشاء عدد من كراسى اللغة العربية فى عدد من الجامعات

(١) المستشرقون لنجيب العقيقى- صـ ١/١١ ط/ دار المعارف ط/ الرابعة.

(٢) الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم د/ مصطفى السباعى صـ١٤.

الأوربية ، ولكن الإشارة هنا إلى الاستشـــراق الرسـمى تـدل علــى أنـه كان هناك استشراق غير رسمى قبل هــذا التــاريخ)(١).

ويمكن القول مما سبق ، أن الاستشراق قد نشـأ فـى وقـت مبكـر جداً، بعد ظهور الإســلام وفتوحاتــه الواسـعة، فــى نهايـة القـرن الأول الهجري ، وفى منشأة قد بدأ بدايــة سـلمية دفاعيــة حينمـا قـام الرهبـان بدراسة العلوم الإسلامية والعربية فى الأندلس ، ثم تطــور بعـد الحـروب الصليبية واتجه اتجاهاً عدوانياً هجومياً كنــوع مـن الصــراع بيـن العـالم الغربي النصراني والعالم الشــرقي المسـلم.

*****

تطور الدراسات الاستشــراقية:

تبين مما سبق أن الرهبـــان ورجـال الديـن النصرانــى تتلمـذوا على يد علماء المسلمين فــى الأندلـس ، فــى مختلــف العلـوم والفنـون، وقاموا بترجمة هذه العلوم إلى لغاتــهم ، ونقلـوا أمـهات الكتـب العربيـة إلى بلادهم، وقاموا بترجمــة معــانى القـرآن الكريـم، ووضـع قـاموس لاتينى عربــى.

وحينما قامت الحــروب الصليبيـة دفعـت العقـول الغربيـة إلــى التعصب للأوربيين، وازدياد روح العداء تجاه الإســلام والمسـلمين، وقـد دفعتهم هذه الروح لمحاولة التفوق على المســلمين فكريــاً وحضاريــاً.

---

(١) الاستشراق د/ محمود حمدى زقزوق صـــ ١٨،١٩.

فقاموا بإنشاء المـــدارس والمعـــاهد ومراكـــز التعليـــم والجامعـــات للدراسات الشرقية، فتعلموا فيها اللغة العربيـــة وأدابـــها ، وقـــاموا بترجمـــة كتب المسلمين فى مختلف العلوم والفنون إلـــى اللغـــات الأوربيـــة ، وكـــان ذلك سببا فى نهضة أوربا بعد فشـــل الحـــروب الصليبيـــة ، وكـــانت هـــذه الدراسات موجهة بالحقد على الإســـلام والنيـــل مـــن تعاليمـــه ، واســـتخدام العنف والقـــوة والإرهـــاب ضـــد المســـلمين ؛ مـــن أجـــل حملـــهم علـــى التنصير، وقد ظهرت فى هذه المرحلة محـــاكم التفتيـــش.

وحينما خـــرج المســـلمون مـــن الأندلـــس وجـــاء الفتـــح العثمـــانى ليواجه دول أوربـــا ، فأســـقط الدولـــة البيزنطيـــة ، ثـــم جـــاءت الهجمـــة الاستعمارية على الدولة العثمانية فى ضعفـــها ؛ بســـبب اهتمامـــها بـــالعلوم الشرعية دون العلوم التطبيقية ، فأحســـت الدولـــة بـــالخطر القـــادم عليـــها وقامت بالتصدى له إلى أن تغلب عليها بعـــد مرحلـــة مـــد وجـــذر ، عـــبر فترة طويلة من الزمـــن. .

وفى مطلع القرن الثامن عشر الميلادى اتســـعت دائـــرة الدراســـات الاستشراقية ، ونبغ عدد من المستشرقين فـــى جامعـــات أوربـــا ، وقـــاموا بإصدار المجـــلات ، وعقـــد المؤتمـــرات؛ لتبـــادل الأبحـــاث والخـــبرات، وكانت نتائج دراساتهم وأبحاثهم هى الركيزة التـــى مـــهدت الطريـــق أمـــام المستعمرين والمنصرين الذين احتلوا بـــلاد المســـلمين.

وفى العصر الحديث تطورت وســـائل المستشـــرقين مـــن الـــهجوم المباشر إلى الهجوم الخفى ، واستحدثوا أساليب جديـــدة بمـــا يتناســـب مـــع طبيعة المرحلة، حتى وصلت الحركة الاستشراقية إلى أوجـــها فـــى نهايـــة القرن التاسع عشر، فظهرت مؤلفاتهم التـــى تعـــج بـــالطعن فـــى الإســـلام،

وأعدوا تلامذة من المسلمين العرب ليقوموا بتغريب المسلمين ، وتبعية دولهم لأوربا وأمريكا ، وقد نجح المستشرقون فى ذلك نجاحا ملحوظا، والواقع المشاهد خير دليل على ذلك ، فرأينا آثار المستشرقين ودراساتهم فى حياتنا الاجتماعية والسياسية والتعليمية والإعلامية وفى كل مجال من مجالات الحياة المعاصرة.

تلك كانت لمحة مختصرة عن نشأة الاستشراق وتاريخه وتطوره ، إلى أن وصل إلى المرحلة التى هو عليها الآن ، فما هى الدوافع الحقيقية التي تقف وراء الدراسات الاستشرقية ؟.

هذا ما سيتضح من خلال الصفحات القادمة أن شاء الله تعالى.

*****

المبحث الثاني

دوافع المستشرقين

لم يكن الدافع وراء الدراسات الاستشراقية دافع البحث العلمي المجرد النزيه – وإن تظاهروا بذلك – وإنما كانت هناك عدة دوافع متعددة ومتنوعة ، تقف جميعها خلف الدراسات الاستشراقية قديماً وحديثاً ، وتهدف فى النهاية إلى إضعاف الإسلام فى نفوس المسلمين، والاستيلاء على خيراتهم ، وجعل العالم العربي الإسلامي تابعاً للعالم الغربي النصراني ، ويمكن إجمال هذه الدوافع فيما يأتي:-

١- الدافع الديني. ٢- الدافع العلمي.

٣- الدافع السياسي. ٤- الدافع الاقتصادي.

٥- الدافع الاستعماري.

أولاً: الدافع الديني:

من خلال دراسة نشأة الاستشراق وتطوره تبين أن الدافع الديني هو الأساس فى ذلك ، فلقد حاول رجال الدين النصراني بالوقوف أمام زحف الإسلام القادم إليهم فى بلادهم فقرروا عدة أمور:-

١- مواجهة هذا الدين عن طريق دراسته أولاً ، ثم البحث عن نقاط الضعف فيه ؛ لإبرازها وتضخيمها وإثارة الشبهات حولها، خاصة حول الرسول ﷺ وتشريعات الإسلام فى العبادات والمعاملات.

٢- اتهام الإسلام بأنه دين لم يأت بجديد ، فجل تعاليمه مأخوذة من اليهودية والنصرانية ، ومن ثم فلا حاجة إليه.

٣- محاولة حجب حقائق الإسلام وتعاليمه السامية عن أبنائهم من النصارى، وذلك بتشويه تعاليمه ، والافتراء عليه كذباً وبهتاناً ومن ثم لا يدخل نصراني في هذا الدين لأنهم وضعوا أسواراً عالية تحول بين أبنائهم وتعاليم الإسلام (١).

يقول د/ محمد خليفة حسن:(فصورة الإسلام خارج العالم الإسلامي يتم تشويهها ، وتقديمها في صورة مزيفة غير حقيقية بواسطة الاستشراق ، وهي صورة تعطى انطباعاً سلبياً للإسلام كدين وحضارة في ذهن الإنسان الذي تلقى معرفته عن الإسلام من خلال المستشرقين الذي يمثلون المصدر المعرفي الأساسي للمعلومات الخاصة بالإسلام وبالمجتمعات الإسلامية)(٢).

ويقصد المستشرقون من وراء تشويه صورة الإسلام في الغرب ، وإظهاره بصورة خاطئة ، وتقديم صورة بعيدة كل البعد عن الإسلام ، أن لا يتعرف الغرب عليه معرفة حقيقية وصحيحة فينتشر بينهم هذا الدين ، ويدخل أبناؤهم فيه.

٤- حاول المنصرون اتساع رقعة النصرانية على مساحة الكرة الأرضية ، فكرثوا جهودهم للتنصير في كل مكان ، ومن أجل نجاح هذا الهدف لابد من الدراسات الاستشراقية التي تمهد الطريق

---

(١) انظر الاستشراق د/ محمود زقزوق صـ٧٥.

(٢) آثار الفكر الاستشراقي د/ محمد خليفة حسن صـ ١٩. ط/عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ط/ الأولى سنة ١٩٩٧م.

أمام التنصير بدراسة طبائع الشعوب، وكثافة السكان ، واستغلال الفقر، والجهل والمرض ، ومعرفة عادات الشعوب وتقاليدها ، ولا يتم ذلك كله إلا بدراسة الشرق الإسلامى وعلومه وآدابه إلى آخره.

ويستفاد من ذلك أن الدافع الدينى هو المحور الأساسى الذى تسبب فى وجود الاستشراق ، فهو صورة جديدة من صور الصراع بين الحق والباطل ، بين ما بقى من اليهودية والنصرانية من عقائد وتعاليم ، بعدت عن صورتها الأولى المنزلة على موسى وعيسى – عليهما السلام – وبين هذه الرسالة الربانية الشاملة التى نزلت على خاتم المرسلين ﷺ ، أو هو صراع بين الغرب النصرانى والشرق الإسلامى ، ولا يستطيع أى باحث أو دارس للاستشراق ودوافعه ، أن ينكر أن الدافع الدينى والعقدى هو الأساس والمنطلق الرئيسى للدراسات الاستشراقية.

*****

الدافع العلمى:

تتفاوت درجات المستشرقين فى الإقبال على دراسة العلوم الشرقية ، فمنهم نفر قليل تدفعه الرغبة فى حب الاطلاع على حضارة الشرق، وثقافاته المختلفة والواسعة ، للاستفادة من مزاياها ، ونقل هذه الخبرة إلى بنى قومه ، وهذا الصنف من المستشرقين تكاد تكون أبحاثهم أقرب إلى الصواب وإلى المنهج العلمى الصحيح ، لاسيما حينما يتوافر الإنفاق المادى على مشروعاته وأبحاثه ودراساته العلمية، وهذا الصنف أيضاً من المستشرقين تقل أخطاؤهم

واستنتاجاتهم بسبب جهلهم بروح اللغة العربيـــة وطبيعـــة الأعـــراف التـــى تغلب على البلاد العربية ، وتختلف عن البــــلاد الغربيـــة.

إن هذا الصنف مـــن المستشـــرقين غالبـــاً مـــا يجـــدون صعوبـــات كثيرة فى طريقهم ، فيدفعون ثمـــن الإنصـــاف غالبـــاً ، إذ إنـــهم عرضـــة للتجاهل الإعلامى ، وتوجه إليهم الاتهامات بالســـعي وراء عواطفـــهم فـــى مجاملة المسلمين للتقرب إليـــهم.

وقد ظـــهر هـــذا جيـــداً فـــى الســـنوات الأخـــيرة حينمـــا وجـــهت للمستشرق رجاء جارودى عدة اتـــهامات بعـــد صـــدور كتابـــه الأســـاطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية فحوكم ودفع الثمـــن غاليـــا ، حكمـــاً بالســـجن وغرامة مالية كبـــيرة.

ومن الجدير بالذكر أن حجم البحث العلمى المجـــرد عـــن الإســـلام قليل جداً ، أو يكاد يكون نادراً، أمـــا الغالبيـــة العظمـــى مـــن المستشـــرقين فلم يلتزموا بالموضوعيـــة والإنصـــاف ، وإنمـــا غلـــب عليـــهم التعصـــب والهوى ، والدس والتحريـــف ؛ فجـــاءت مؤلفاتـــهم تطفـــح بـــالطعن فـــى مبادئ الإسلام وقيمه ، وعقيدتـــه وشـــريعته ، وأســـماء هـــولاء كثـــيرة ، ومؤلفاتهم عديدة، فالدافع العلمى كان موجهاً للنيـــل مـــن الإســـلام وتشـــويه صورته ، أى لخدمة الدافع الدينـــى.

*****

الدافع الاقتصـــادي:

لقد حبى الله – سبحانه وتعالى- العـــالم العربـــي بخـــيرات كثـــيرة لا تحصى ، ففيـــه الـــثروات الطبيعيـــة مـــن المـــاء والمعـــادن والبـــترول

والمواد الخام ، والموقع الجغرافي المتميز ، والأيدى البشرية العاملة: كل هذه الثروات وغيرها جعلت العالم العربي مطمعا لكثير من الدول الغربية فهو – أى العالم العربي– بالنسبة لهم مصدر للمواد الخام الرخيصة، كما أنه سوق للتوزيع والاستهلاك.

ومن هنا دعم الغربيون الدراسات الاستشراقية ، لدراسة جغرافية العالم الإسلامي ، وتوزيع المعادن فى باطن الأرض ، وطرق المواصلات التى تربط بين الشرق والغرب ؛ وأنفقوا على هذه الدراسات أموالاً طائلة لأنها فى النهاية تخدم الدول الغربية فى بسط نفوذها الاقتصادي على العالم العربي.

*****

الدافع الاستعماري:

حينما فشلت الحروب الصليبية فى سيطرتها على الشرق الإسلامي عسكرياً ، اتجهوا إلى لون آخر من ألوان الغزو – وهو الغزو الفكرى – ليمهد الطريق إلى الاحتلال دون مقاومة ، فكانت الدراسات الاستشراقية التى درست كل ما يتعلق بالعالم الإسلامي من علوم وثقافات ، وتاريخ ودين ، واستطاعوا من خلال نتائج هذه الدراسة أن يضعفوا روح المقاومة فى نفوس المسلمين ، إلى أن سيطروا على العالم العربى كله ، ما عدا شبه الجزيرة العربية.

ولم يصل الغرب إلى ذلك كله إلا بعد تكريس طائفة من المستشرقين ، أغدقوا عليهم الأموال ، وجندوهم لخدمة أطماعه ومآربه ، والوصول إلى غايته وقد نقل د/ زقزوق عن بعض المستشرقين ما .

يؤيـد ذلـك فيقـول المستشـرق الألمـانى أوليسـريت هارمـان (كـانت الدراسات الألمانية حول العالم الإسلامي قبـل عـام ١٩١٩م أقـل بـراءة وصفاء نية فقد كان (كارل هينزيش بيكـر) وهـو مـن كبـار مستشـرقينا منغمساً فى النشاطات السياسية حتى إنه أصبـح فـى عـام ١٩١٤م شـديد الحماس لمخطط استخدام الإسلام فـى أفريقيـا)(١).

*****

الدافع السياسـى:

لقد رزخت الدول العربية فـترة طويلـة تحـت الاحتـلال الغربـى الغشوم، وقد استهدف من الأمـة الإسـلامية عقيدتـها ولسـانها، وبعـد أن استطاع أن ينشئ طبقة بديلة من أبناء البلاد الأصليـة، تـرك لـهم البـلاد، وسلم لهم الأمور شريطة أن تسير وفـق هـواه.

ومن الأمور الجديرة بـالذكر (أن كـل دولـة عربيـة بـها ملحـق ثقافي لكل دولة مـن دول أوربـا وأمريكـا ، ويحـاول ذلـك الملحـق أن يتصل برجال الفكر والصحافـة والسياسـة ويبـث إليـهم سياسـة دولتـه، وهذا الملحق يجيد اللغة العربيـة، ودراسـة نفسـية المسـئولين ، وكيـف ينفذ إليها؟ ويـدرس مواطـن الضعـف فـى سياسـتهم وبالتـالي يسـهل الطريق أمام الغرب لفرض سياسـاتهم الخارجيـة.

---

(١) الاستشراق د/ محمود حمدى زقزوق صـ٤٨.

بل إن جميع رؤساء الـــدول الغربيـــة علـــى صلـــة قويـــة بأســـاتذة الجامعات المعنييـــن بالدراســـات الاستشـــراقية ، وذلـــك للرجـــوع إليـــهم، والاستفادة من آرائهم تجاه القرارات المتعلقـــة بالشـــرق الإســـلامي)[1].

*****

(١) الاستشراق د/ محمود حمدى زقزوق صـــ٥٠ بتصرف.

المبحث الثالث

أهداف المستشرقين

إذا كانت الدراسات الاستشراقية قامت تحت دوافع متعددة ومختلفة كما سبق بيانها ، فإنها وضعت لها عدة أهداف من أجل تحقيقها، والوصول إليها، فنجاحهم فى الدراسات الاستشراقية يتوقف على تحقيق هذه الأهداف ، أو جزء منها ، سواء على المدى البعيد أو القريب ، ومن بين هذه الأهداف ما يأتى:-

أ- النيل من تعاليم الإسلام، وإضعاف أثره فى نفوس المسلمين.

حاول المستشرقون منذ فترات طويلة وبعد دراسات واسعة ومكثفة حول الإسلام وقيمه وأخلاقه ، أن يقفوا على مواطن القوة فيه، ثم يقوموا بتركيز سهامهم الضارية نحوه ؛ لإصابته ، فإن لم تقتله هذه السهام جرحته وأدمته.

وقد عملوا من أجل إنجاح هذا الهدف بنشر عدة تيارات فكرية هدامة فى بلاد المسلمين ، وإيجاد تلاميذ لهم من المسلمين العرب، يحملون هذه الأفكار الهدامة ومن بينها:-

(الوجودية)[1]: وهى التى تؤمن بالموجود والمحسوس المشاهد فقط، مما يخضع للعقل ، ويشاهد بالعين ويلمس باليد ، فهذا هو الذى يجب الإيمان به ، وما لم يثبت بالمشاهدة فلا وجود له ، وبالتالى يهدف هذا

(١) واضع هذه الفلسفة هو سارتر، وهو من أم يهودية، وله ميول وتعاطف مع الصهيونية، وفلسفته تقوم على الإلحاد والإباحية، والتحرر من الدين والقيم والأخلاق.

التيار الفكري إلى إنكار وجود الله - سبحانه وتعالى - بل إنكار جميع الأمور السمعية والغيبية المتعلقة باليوم الآخر ، وما فيه من ثواب وعقاب ، وميزان وصراط ، وجنة ونار.

وهذا كله لون من الإلحاد ، ومن عمل المستشرقين اليهود الذين سعوا إلى نشره وترويجه، يقول د/ عبد الستار فتح الله سعيد:(فاليهود أساتذة الإلحاد العالمي ، ومعلموه ، وناشروه ، ودعاته وفلاسفته المبتكرون!!، واليهود الذين لقنوا الفكر المعاصر كل نظريات الإلحاد والإفساد ، كفكرة تطور الأديان ، وأنها اختراع بشرى ، حتى قالوا إن الله - تعالى شأنه - فكرة اخترعها الإنسان، فالإنسان خالق الفكرة وليس مخلوقاً ، بل قالوا في جرأة وقحة (إن الله مات) تعالى ربنا عما يقولون علواً كبيراً).[١]

لقد اخترع المستشرقون هذه الأفكار وأوجدوا أساتذة منهم يحملونها ، ثم يقذفونها إلى تلامذتهم فى بلاد المسلمين ؛ ليعملوا على نشرها وبثها بين الطلاب المسلمين ، فى الجامعات والمعاهد والمدارس ، فتهتز المعانى الإسلامية فى نفوسهم ، ويضعف أثر الإسلام فى قلوبهم ، ويصبحوا لديهم القابلية لتشكيل عقولهم ، كما يريد المستشرقون لا كما يريد الإسلام.

الماسونية: وإذا كان اليهود يقفون وراء الوجودية الإلحادية فإنهم أيضاً هم الذين أسسوا وصنعوا الماسونية العالمية ، فقد نشأت

(١) معركة الوجود بين القرآن والتلمود د/ عبد الستار فتح الله سعيد صـ١١٧. دار النشر والتوزيع الإسلامية ط/ السادسة سنة ١٤١٥.